الحذف واثره في التوسع الدلالي في آيات الإرشاد والتحذير

أ.م.د. عزيز سليم علي القريشي
كلية التربية/ جامعة واسط

المعروف أن الحذف هو أسلوب نحوي ,وهو من الأساليب التركيبية التي تدخل في باب علم المعاني, التي تقوم على الإيجاز, والحذف لا يأتي إلاّ اذا أمن البس[١] إذ ((لَا يجوز الْحَذف حَتَّى يكون الْمَحْذُوف مَعْلُوما بِمَا يدل عَلَيْهِ من تقدم خبر أَو مُشَاهدَة حَال))[٢] وهناك علاقة بين الحذف والدلالة المغيبة ذلك أن ((الاتساع ضربٌ من الحذف)) [٣] ((كلما طال الكلام فهو أحسنُ، نحو قولك: حضر القاضي امرأةٌ؛ لأنه إذا طال الكلام كان الحذف أجمل))[٤] ولهذا فـ((أَن النَّحْوِيين لَا يَقُولُونَ قَامَ هِنْد وَذهب جاريتك ويجيزون حضر القَاضِي الْيَوْم امْرَأَة يَا فَتى فيجيزون الْحَذف مَعَ طول الْكَلَام لأَنهم يرَوْنَ مَا زَاد عوضا مِمَّا حذف)) [٥] والحذف لا يقوم إلا بدليل وإن ((دَلِيل الْحَذف نَوْعَانِ أَحدهمَا غير صناعي وينقسم إِلَى حَالي ومقالي كَمَا تقدم وَالثَّانِي صناعي وَهَذَا يخْتَص بمعرفته النحويون لِأَنَّهُ إِنَّمَا عرف من جِهَة الصِّنَاعَة وَذَلِكَ كَقَوْلِهِم فِي قَوْله تَعَالَى {لَا أقسم بِيَوْم الْقِيَامَة} إِن التَّقْدِير لأَنا أقسم وَذَلِكَ لِأَن فعل الْحَال لَا يقسم عَلَيْهِ فِي قَول الْبَصرِيين وَفِي قُمْت وأصك عينه إِن التَّقْدِير وَأَنا أصك لِأَن وَاو الْحَال لَا تدخل على الْمُضَارع الْمُثبت الْخَالِي من قد وَفِي إِنَّهَا لإبل أم شَاءَ إِن التَّقْدِير أم هِيَ شَاءَ لِأَن أم المنقطعة لَا تعطف إِلَّا الْجمل)) [٦]

والمعروف أن الإيجاز يقوم على اختصار الكلام وتغييب أجزاء منه قد تصل إلى جمل متعددة, بيد أن هذا الإخفاء والإضمار يحمل وراءه الكثير من الدلالات التي تزيد كثيرا على الجزء المغيب الذي قد يقدر بكلمة, والأمر أبعد من ذلك, ولو بقي الجزء المغيب, لما استطاعت الدلالة الكاملة الوصول للمتلقي, وقد قام الباحث على اختيار موضوع الإرشاد والتحذير القرآني ؛ لأن فيه الكثير من الحذف القائم على إضمار أشياء كثيرة , كان ورائها الرغبة ببث إيحاء معين للمتلقي؛ أو لأن اللفظة الغائبة لو جاءت لغابت الفائدة من الحصول على دلالات كثيرة قابعة خلفها, وهذا كله داخل في باب الإيجاز القرآني, الذي دخل في الإرشاد وباب الإعجاز القرآني ((وقد اهتمّ علماءُ البلاغة، والباحثون في إعجاز القرآن بدراسة ما في كتاب الله من محذوفات، وبدراسة أقوال كِبَارِ البلغاء والفصحاء، وما فيها من عناصر محذوفة مع إرادة توصيلِ معانيها للمخاطبين بها، فاكتشفوا: أنّ الحذف من صريح البيان، والاكتفاء بدلائل قرائن الأحوال أو قرائن الأقوال، أو دلائل اللّوازم الفكرية، وما في الأقوال المذكورة من إشارات، قد يكون أبلَغ وأبدَعَ وأكْثَرَ جَمالاً، إذَا كان المتلَقِّي ممَّنْ تقتضي حالُه أنْ يُخَاطَبَ بمثل ذلك، اعتماداً على ذكائه وفطنته، أو كان في المتلقّين من هم كذلك، وهؤلاء يكشفون لسائر المخاطبين ما فهموه من الكلام الموجّه للنّاس بوجهٍ عامٍّ، فَيُغْنِي إفهام أهل البحث والعلم والفطنة بكلام يُلاَئمُ مقتضى حالِهم، إذْ هم مُكَلَّفُونَ إفْهَامَ الآخرين وتعليمَهُم، ولا حاجة في كلّ الكلام أَنْ يلائم أحوال متوسطي الذكاء فمن دونهم، إذا كان الكلام موجّهاً للناس بوجه عامّ.)) [٧]

والحذف جزء مهم في اللغة العربية ((وعادة العرب الحذف إذا كان فيما بقي دليلا على ما حذف)) [٨] والمعروف أن ((القول في الحذف على ثلاثة محاور رئيسة: الأول: القول في حذف جزء الجملة. الثاني:

القول في حذف الجملة. الثالث: القول في حذف أكثر من جملة.)) [٩] وهو أنواع ووجوه ((منها أن تحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامه وتجعل الفعل له، كقول الله تعالى: (وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ)، أي أهلها. وقوله تعالى: (وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ)) [١٠] وللحذف دواع كثيرة : ((ومن دواعي الحذف: إذا دلت عليه قرينة، وتعلق بتركه غرض من الأغراض الآتية:

(١) ظهوره بدلالة القرائن عليه – نحو قوله تعالى:(فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ) «أي أنا عجوز» .

(٢) إخفاءُ الأمر عن غير المخاطب - نحو أقبل «تُريد عليا مثلا» .

(٣) تيسر الانكار إن مسَّت إليه الحاجة - نحو (لئيم خسيس) بعد ذكر شخص لا تذكر اسمه ليتأتَّى لك عند الحاجة أن تقول ما أردته ولا قصدته.

(٤) الحذر من فوات فرصة سانحة - كقول منبه الصياد)) [١١]

وتقوم في الحذف:((بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف: القصر ويجعل الإيجار على ضربين القصر والحذف. وكان يسمى العبارة عن المعنى بالكلام الكثير. مع أن القليل يكفى فيه: التطويل ويسمى العبارة عن المعنى بالكلام الكثير الذي يستفاد منه إيضاح ذلك المعنى وتفصيله: الإطناب ويجعل التطويل عيباً وعياً والأطناب حسناً ومحموداً.)) [١٢] وليس كل الحذف حسننا ومحمودا إذ ((يجب أن نحد الإيجاز المحمود بأن نقول: هو إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ وهذا..... إيضاح من أن تكون العبارة عن المعنى وإن كانت موجزة غير موضحة له حتى يختلف الناس في فهمه فيسبق إلى قوم دون قوم بحسب أقساطهم من الذهن وصحة التصور فإن ذلك وإن كان يستحق لفظ الإيجاز والاختصار فليس بمحمود حتى يكون دلالة ذلك اللفظ على المعنى دلالة واضحة)) [١٣] وليس كل حذف محمود إذ أن.((مدار الإيجاز على الحذف؛ لأن موضوعه على الاختصار، وذلك إنما يكون بحذف ما لا يخل بالمعنى، ولا ينقص من البلاغة، بل أقول: لو ظهر المحذوف لنزل قدر الكلام عن علو بلاغته، ولصار إلى شيء مسترذل، ولكان مبطلا لما يظهر على الكلام من الطلاوة والحسن والرقة، ولابد من الدلالة على ذلك المحذوف، فإن لم يكن هناك دلالة عليه فإنه يكون لغوا من الحديث، ولا يجوز الاعتماد عليه، ولا يحكم عليه بكونه محذوفا ،))[١٤] وللحذف اثر كبير في الاتساع الدلالي إذ ((يرى ابن المدبر أن أسلوب: {بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَار} من الحذف والاتساع)) [١٥] ذلك ؛((أن الحذف لمجرد الاختصار أمر لا يمس البلاغة إلا من طرف ضئيل)) [١٦] . ولا يمت للذوق بشيء ولا يقوم عليه فن أدبي مؤثر.

وفي دراستنا للحذف والاتساع الدلالي الذي يقوم به , نرى دلالات متنوعة, فنرى أن للحذف قدرة على إحداث الإرشاد الممزوج بالتحذير وتفخيم أثره, عن طريق جعل المخاطب قادرا على تحميل دلالات كثيرة غير محصورة فيما لو قام المخاطب بالفعل الذي تم النهي عنه, كما في قوله تعالى الموجه لآدم عليه السلام: ((وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) [١٧]

النص القرآني يقدم دلالة الإرشاد الممزوجة بالتحذير, فيبدو أن الإباحة في عبارة (اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) مشروطة بالنهي(وَلَا تَقْرَبَا) الذي يتجاوز الإرشاد إلى مرحلة التحذير, فتأتي العبارة التخويفية(فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) حاملة الحذف الذي يوسع من دلالة النص القرآني, وتتغيب الدلالة المحذوف للاتساع وزيادة التخويف لتتحمل دلالات متنوعة مضمرة منها, (لا تقربا هذه الشجرة فتكونا.... من الظالمين لأنفسكم, أو تكونا من الظالمين لأنفسكم بخروجكم من الجنة, أو لأبنائكم لنزول الأرض وذوق الموت, أو لأجسامكم وأبدانكم الضعيفة من الدنيا والآخرة, أو تخسرا رحمة الله....الخ) وفي الحقيقة فإن طابع النص الإرشادي الحامل للتحذير قد عمل على إرسال الدلالة كلها عن طريق الحذف ولو جاءت لفظة واحدة وغاب الحذف منها لما توسعت الدلالة ولما تم الإرشاد الحامل للجانب التحذيري بهذا الشكل الكبير.

ومن الحذف شيئا يقوم على توسيع الدلالات, من خلال قدرة اللفظة المحذوفة على تعويم الدلالات, التي تعطي جانب الإرشاد والتوجيه, كما في قوله تعالى: ((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)) [١٨]

النص القرآني, قام بتوسيع الدلالة عن طريق وضع الطرح الأول(لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) ليتقدم التسفيه في الرأي الذي يقود إلى ذلك , وتدخل العبارة التي تحمل الحذف(بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ) وأصل العبارة (اتخاذكم عبادة العجل) ويظهر من النص المتقدم اختفاء لفظة (عبادة) وفي ذلك التغيب حالتان يمكن أن ترتبطا سويا, الحالة الأولى الدلالية هي: حالة التسفيه التي لا تستلزم ذكر العبادة مع العجل, الذي لا يقبله إلا المنطق المنغرس في الجهل ؛لأن ما عبدوه مما لا يفقه , ولا يضر , ولا ينفع , وتأتي الدلالة الأخرى , وهي الدلالة التي ربما تخفف أثر التقريع المصاحب للإرشاد وكأن أمر العبادة الذي أغفل وبقيت مسألة العجل مسألة هامشية أحب النبي (موسى) عليه السلام أن يشير إليها من بعيد حتى يقوم على إعادة شمل بني إسرائيل ومحاولة توجههم باليسر والليونة الله أعلم .

ويأتي الحذف مصاحبا لصفات الله سبحانه وتعالى, لتوسيع المعاني ,والدلالات التي تتضمنها عند ماهية الإرشاد والتوجيه المصاحب للتحذير, والتي لا يمكن أن يستوعبها الذكر, كما في قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤))[١٩]

فالعبارة المتقدمة تضع الطرح المهم (الاصطفاء , والاختيار) للأنبياء وتأتي عبارة (سَمِيعٌ عَلِيمٌ) لتتضمن المحذوف الغائب, المتعدد(فالله ـ سبحانه وتعالى ـ سميع لقول المؤمن, ولقول الكافر, ولقول المتحير أو الشاك بالأنبياء...., والعليم بأفعال الأنبياء, وأفعال العباد, وأفعال المؤمن , والكافر.....) ويبدوا أن النص الشريف وعن طريق الحذف القرآني ينفتح على احتمالات عدة, تتسع فلا تنحصر بزمنها, بل تتجه إلى الإرشاد والتوجيه إلى الأزمنة المستقبلية, وبهذا فإن الحذف قد قام باثر التوسع الدلالي خارقا نظامه الطبيعي الدلالي المتعارف عليه الذي هو الإيجاز إلى التوسع الدلالي.

وقد يأتي التوجيه والارشاد حاملا الحذف الذي يخفي الجار والمجرور, ليس فقط لوجود ما يدل عليه, بل لإعطاء الإيحاء الدلالي الذي يوحي بالوصف الحامل للمبالغة الذي يتوازن مع المتقدم المذكور, والذي لا

يستطيع الذكر استيعاب دلالاته المترامية, كما في الخطاب الرباني الموجه لمريم عليها السلام: ((يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ)) (٢٠)

فلا يخفى أن النداء هو علامة إيحائية تفضي للانتباه للطرح المقدم لأهميته, وهو الجانب الإرشادي بضرورة القنوت والتعبد لله سبحانه وتعالى, ويبدو أن ذكر القنوت كان لزاما أن يرتبط بلفظ الجلالة, للتوضيح وللأهمية, فهو يمثل الانقطاع التام لرب العزة ولا يصح لغيره, والقنوت هو المحرك لدواخل النفس ((والقنوت يطلق بإزاء معان: قيل الطاعة، وقيل الدعاء، وبمعنى طول القيام، وبمعنى السكوت في الصلاة.)): (٢١) وهو يعتمد على ((قوة التوكل على الله بحيث لا يلتفت القلب إلى المخلوقين في شأن من شئونه، ولا يستشرف إليهم بقلبه، ولا يسألهم بلسان مقاله أو حاله، بل يكون ظاهره وباطنه وأقواله وأفعاله وحبه وبغضه وجميع أحواله كلها مقصودا بها وجه الله، متبعا فيها رسول الله.)) (٢٢)

ويبدوا أن المسألة حينما تصل إلى الركوع يختفي ورائها , لفظ الجلالة (الله) وكأن لامجال لذكر ذلك ؛ إذ لا ركوع إلا له ـ سبحانه وتعالى ــ ولا يركع لغيره إلا الجاهل, الخائف من الناس أو الطامع بهم, وكل تلك الدلالات تظهر وراء الحذف فتوسع من معناه, كذلك تختفي دلالة التكثير والتواصل فبالحذف يندمج(الركوع بالسجود) في حركة متواصلة ,قوية زاد من أثرها فعل الإرشاد الطلبي الذي جاء بأقوى صيغ الطلب(افعل) (أقنتي , اركعي) وأكثرها صيغة أسم الفاعل الجمعية الممتده بحرف المد الياء في(الراكعين) وكل ذلك لم يكن ليتحقق لو جاء الذكر.. والله العالم.

وقد يأتي النصح والإرشاد ليدل على رحمة الله التي تحيط بالمؤمنين المطيعين لله والرسول , فيأتي الحذف من خلال إظهار اللفظة التي تطوي ورائها ألفاظا ودلالات كثيرة مضمرة استطاع الإضمار احتواها , ومنه قوله تعالى:((الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ)) (٢٣)

فالنص الشريف المتقدم يبين أفضلية الذين استجابوا لله والرسول, ويتبين بطريق النصح والإرشاد فائدة التوكل عليه ـ سبحانه وتعالى ـ إذ ((يؤخَذ من هذه الآيات ..... أن التوكُّل على الله عبادة يجب إخلاصها لله سبحانه وتعالى، وأن التوكُّل من أعظم أنواع العبادة)) (٢٤). وتظهر عظمة التوكل ورحمة الله عن طريق ((صرف الله أعداءهم فلم تقع المعركة، ولكنهم كانوا قد استعدوا للقتال تماما، استعدوا له بأرواحهم، ومشاعرهم، فجمعوا عزائمهم على الرغم من تخويف الناس لهم وعزموا على لقاء العدو متكلين على الله، وهذا هو التوكل الحق الذي يطلبه الله من المسلمين.)) (٢٥) وتتكرر لفظة(الذين) لإظهار الموصوفين الذين يقع عليهم المدح, ثم تأتي عبارة(انقلبوا) لتبين سرعة التحول وماهية التغير الكبرى للخير من بعد العسر, ثم تسطع عبارة(لم يمسسهم سوء) لتكون جملة خبرية تتضمن معان عديدة مغيبة ومضمرة, فذكر لفظ (السوء) وغيب نوعه, والمعروف أن السوء الذي يصيب الإنسان متنوع ومتعدد: فمنه,(القتل, أو الأسر, أو الجراح , أو الذلة, أو العوز أو المرض, أو عذاب الله.....الخ) وكان وراء التغييب لهذه الألفاظ دلالات متنوعة توحي باستحالة

حصر سعة رحمة الله سبحانه وتعالى بالإنسان فضلا عن الإنسان المؤمن المطيع له, قال تعالى ((إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها)) [٢٦] لينبثق من النص القرآني الإرشاد المؤدي لاستمرار الشكر من قبل المؤمن على نعمة الله جل وعلا.

ويأتي الحذف للتوسيع والكثرة, المصاحبة للإرشاد والتوجيه, وذلك لإعطاء الشمولية التي غاب عنها العد, كما في الحذف المبين لرفض عبادة الكافرين المتنوعة وأصنامهم الكثيرة فاختفى الضمير الدال على معبودهم, للسعة ؛ لأنه كثير, وذلك في قوله تعالى:((قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ)[٢٧]

فالآية نزلت حينما طلب المشركون من النبي أن يعبد معهم آلهتهم فيعبدوا الله عز وجل فجاء الرفض من النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وروي في الآية:((أن سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة , والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب وأمية بن خلف لقوا رسول الله صلى الله عليهواله وسلم فقالوا: يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد. ونعبد ما تعبد , ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله , فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه , وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما بيديك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه , فأنزل الله تعالى {قل يا أيها الكافرون} ... {لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدونَ} يعني من الأوثان.)) [٢٨] والحذف فيه واضح((لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ ما بمعنى الذي في موضع نصب ب أَعْبُدُ وتَعْبُدُونَ صلة (الذي) والعائد محذوف، تقديره: ما تعبدونه)) [٢٩] والأوثان كثيرة عند العرب : فمنها اللات , والعزى ومناة , ويغوث...الخ والظاهر أن وراء الحذف هو الرفض الشامل لكل معبوداتهم.

وقد يأتي الحذف لجمل كثيرة لا يستوعبها الذكر لكثرتها وتنوعها, كما في نصح النبي صالح عليه السلام لقومه, ثم خالفوا أمره, فاكتفى النص القرآني بكلمة (قال) وترك النص مفتوحا؛ لأن المجال يضيق لحصره فجاء الحذف, ليبين دلالة السعة في النصح والإرشاد الممزوج بالتحذير غير المفضي للهداية, في قوله تعالى: ((كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا)) [٣٠]

فاللفظ المتقدم هو (كذبت) المرتبط بقوم ثمود العاصين عن سماع الحق وقد جاء الفعل ماضيا ليوحي بمعنى القدم والثبوت على الرغم من كثرة الهدي والنصح, ويظهر أن وراء عبارة(قال لهم رسول الله ناقة الله) ليس فقط (الزموا ناقة الله بل النبي صالح عليه السلام فقد((بين لهم أمر الناقة وشربها وما يفعل الله- عز وجل- بهم إن كذبوا وعقروا الناقة، فذلك قوله: «فَقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ناقَةَ اللَّهِ وَسُقْياها» فَكَذَّبُوهُ بما جاء به فَعَقَرُوها يعني قتلوا الناقة فحل بهم العذاب،)) [٣١] والتقدير المؤول(الزموا ناقة الله وسقياها) ويبدو أن الحذف أبعد من ذلك , فالعبارة المتقدمة داخلة في باب الإرشاد الممزوج بالتحذير, وذلك يستلزم الشيء الكثير من القول, فالعبارة المقدرة ـ والله أعلم ـ(الزموا ناقة الله وسقياها وأتبعوا أمر الله فيها , والزموا القسمة ولا تخالفوا أمر الله فيصيبكم العذاب إن فعلتم ذلك...) وهذا هو ديدن الأنبياء صلوات ربي عليهم أجمعين فهم يبالغون في الإرشاد والنصح والتحذير, قال تعالى على لسان النبي نوح عليه السلام: ((قالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً

وَنَهاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلاَّ فِراراً وَإِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهاراً ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً)) [٣٢] فالنص المتقدم خير دليل على كثرة ونصح الأنبياء لقومهم.

وقد يأتي النص القرآني بلفظة معينة تبين وصف معينا, بيد أن تلك اللفظة تكون عامة شمولية تخفي ورائها طروحا مضمرة لا يكون الذكر قادرا على فك شفرتها, كما في قوله تعالى: ((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)) (٣٤) [٣٣]

أصل العبارة (إلا ابليس أبى أن يسجد لله واستكبر ضنا منه أنه أفضل من أدم عليه السلام) ويظهر أن الحذف قد طوى ورائه دلالات كثيرة واسعة ليس للذكر قدرة على إظهارها, فعبارة (أَبَى وَاسْتَكْبَرَ) هي باكورة تحمل معنى التغطرس التام الحامل للتعجب الغريب, من مخلوق آثر عصيان أمر الله سبحانه وتعالى, وهو يكلمه ويرى قدرته وخلقه عيانا وقد كفر ونوع كفره هو((كفر الإباء والاستكبار مع التصديق)) [٣٤] والدليل على التوسعة بالحذف هو الأقوال الكثيرة التي قيلت فيما كمن وراء ذلك الاستكبار إذ نرى من يقول :((كفر إبليس؛ فإنه لم يجحد أمر الله عز وجل، ولا قابله بالإنكار، وغنما تلقاه بالإباء والاستكبار)) [٣٥] وآخر يرى أن السبب وراء الاستكبار والطرد؛((أن ابليس لعنه الله((يشفع له علمه بالوحدانية والربوبية؛ لأنه لم يحقق توحيد العبادة. إذن فالتصديق المجرد عن العمل لا قيمة له عند رب العالمين!)) [٣٦] أو((المَعْنَى أَنَّ إِبْلِيْسَ زَادَ فِي كِبْرِهِ وَتَعَاظَمَ، وَمِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى أَيْضًا {وَاسْتَغْنَى اللهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيْدٌ} (التَّغَابُن:٦).)) [٣٧] وقال ابن كثير أن وراء الاستكبار: هو أن ابليس(أَبى وَاسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ حَسَدَ عَدُوُّ اللَّهِ إبليس آدم عليه السلام ما أعطاه مِنَ الْكَرَامَةِ، وَقَالَ: أَنَا نَارِيٌّ وَهَذَا طِينِيٌّ، وَكَانَ بَدْءُ الذُّنُوبِ الْكِبْرَ، اسْتَكْبَرَ عَدُوُّ اللَّهِ أن يسجد لآدم عليه السلام. قُلْتُ: وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خردل من كبر» «٤» وقد كان في إِبْلِيسَ مِنَ الْكِبْرِ وَالْكُفْرِ وَالْعِنَادِ مَا اقْتَضَى طَرْدَهُ وَإِبْعَادَهُ عَنْ جَنَابِ الرَّحْمَةِ وَحَضْرَةِ الْقُدْسِ،)) [٣٨] ويرى من التعليقات المتقدمة التي ذكرنا يعظها أن التحميل الدلالي الكامن وراء دلالة الاستكبار كان متنوعا, ذلك الذي احتوته نفس ـ ابليس لعن الله ـ وهو فعلا كذلك.

وقد ترد اللفظة بالمفرد وتخفي ورائها محذوفا متنوعا, كما في لفظة ذكر النعمة الموجه لبني اسرائيل, وهي في باب التذكير والتوجيه, في قوله تعالى: ((يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ)) [٣٩]

وقد أتى الحذف في النعم ليدل على ((أنها غير مُتَنَاهية بحسب الأشخاص والأنواع،))[٤٠]ويرى الشعراوي: أن التذكير لبني اسرائيل جاء في النعمة المادية وما أكثرها , يقول: ((والله سبحانه وتعالى يقول: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذكروا نِعْمَتِيَ التي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ} ولكن الله سبحانه وتعالى حين يخاطب المسلمين لا يقول اذكروا نعمة الله. وإنما يقول: «اذكروا الله» ؛ لأن بني إسرائيل ماديون ودنيويون. فكأن الحق سبحانه وتعالى يقول لهم: ما دمتم ماديين ودنيويين. فاذكروا نعمة الله المادية عليكم. ولكننا نحن المسلمين أمة غير مادية.)) [٤١] ويبدوا أن وراء الحذف السعة في المعنى يقول صاحب صفوة التفاسير:((ذكّرهم تعالى بنعمه وآلائه العديدة مرة أخرى

فقال {يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذكروا نِعْمَتِي التي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ} بالشكر عليها بطاعتي {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ} أي فضلت آباءكم {عَلَى العالمين} أي عالمي زمانهم بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وجعلهم سادة وملوكاً)) [٤٢]، فالنعمة ليست واحدة, وإنما متعددة بل لا تحصى ليست على بني اسرائيل بل على بني أدم جمعاء, ولذا قام الحذف القابع في باب الإرشاد والتذكير بترك النص مفتوحا احتمالات النعمة التي تتجدد وتكثر وتزداد بكل زمان.. فلله الحمد على نعمه

ويأتي الحذف ليخفي وراءه جوانب الخير الكثيرة المبعوثة لمن يخاف الله ويتبع هدى الايمان في جانب ارشادي , فيقوم الحذف بتوسيع دلالتها وترك المتلقي سابرا أغوارها التي لا تعد ولا تحصى , كما في قوله تعالى:((قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ))[٤٣]

إن الآية المتقدمة هي رسالة اطمئنان بثها النص القرآني للمؤمنين فهم ((لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ أَمَامَهُمْ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْظَمَ فِي صَدْرِ الَّذِي يَمُوتُ مِمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ، فَأَمَّنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ. ثُمَّ سَلَاهُمْ عَنِ الدُّنْيَا فَقَالَ: وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَّفُوهُ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا فَإِنْ قِيلَ قَوْلُهُ: فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ يَقْتَضِي نَفْيَ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ مُطْلَقًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لِأَنَّهُمَا حَصَلَا فِي الدُّنْيَا لِلْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرَ مِنْ حُصُولِهِمَا لِغَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ،))[٤٤] فالمسألة المطروحة تعني العمومية في الطرح والاختزال على وفق نظرة ابن كثير, إذ يقول: ((فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ} أَيْ: مَنْ أَقْبَلَ عَلَى مَا أَنْزَلْتُ بِهِ الْكُتُبَ وَأَرْسَلْتُ بِهِ الرُّسُلَ {فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} أَيْ: فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ {وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ طه: {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى} [طه: ١٢٣] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَا يَضِلُّ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ.)) [٤٥]

فعبارة (لا خوف عليهم) تخفي ورائها مدلولات كثيرة تبين حال المؤمنين وكذلك(ولاهم يحزنون) فلا خوف عليهم في الدنيا ولا خوف عليهم في الآخرة, وكذلك الحزن, وكذا فالخوف في الدنيا أنواع: (منه الخوف من الفقر والذل والسلطان...والخوف في الآخرة من الموت وغصته والبعث والحساب.....) والأمر على هذه الشاكلة لا يمكن أن يقتنص بلفظة أو عبارة واحدة ؛لأنه مفتوح الدلالة ومتطور مع التطور الزمني

ومثال الاختزال الذي يبين معناه المفسرين, عبارتا(الإثم , والكفر) التي اختزلتا دلالات كثيرة, ومنها النص الإرشادي الحامل للتحذير, في قوله تعالى:((فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)) [٤٦]

فالإثم متنوع في دلالته وواسع, فهناك من يرى أن((الإثم هو الخمر،)) [٤٧] و معروف أن ((الإثم له ألوان, وله باطن(وذروا ظَاهر الْإِثْم وباطنه} قيل: ظَاهر الْإِثْم: هُوَ الزِّنَا علنا، وباطنه هُوَ الزِّنَا سرا، وَكَانَ أَشْرَاف الْعَرَب يتكرمون من الزِّنَا عَلَانيَة ويزنون سرا، (فالآية) فِي النَّهْي عَنْهُمَا جَمِيعًا، قَالَ قَتَادَة: أَرَادَ بِهِ: النَّهْي عَن كل الْمعاصِي سرا وجهرا، وَفِي الْآيَة سوى هَذَا أَقْوَال ثَلَاثَة: أَحدهَا: أَن ظَاهر الْإِثْم هُوَ: نِكَاح الْمَحَارِم، وباطنه: الزِّنَا. وَالثَّانِي: أَن ظَاهر الْإِثْم: كشف الْعَوْرَة، وباطنه: الزِّنَا. وَالثَّالِث: أَن ظَاهر الْإِثْم: هُوَ

الَّذِي تقترفه الْجَوَارِح، وباطنه الَّذِي يعْقد الْقلب)) [٤٨] وبهذا يتعدد المعنى الغائب وراء الحذف ويتسع حدا لا تكفله لفظة أو عبارة , فالإثم يقع في العرف الحالي على كل ما يخالف الشرع والدين وما أكثره.

ومن الحذف القرآني ما يخلق حالة من التهويل, تخلقها صورة مشهديه مغيبة, لا يستطيع الذكر وضع أطرها فيصبح الحذف الحالة المثالية الموحية باتساع ألوانها, كما في وصف أهوال يوم القيامة ووقوف الكافرين على أعتابها, في صورة تندرج بين التهويل والتحذير, مع مسحة من الإرشاد المفضي للعمل على الابتعاد عن الأعمال التي تؤدي لها ,كما في قوله تعالى: ((وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)) [٤٩]

إذ نرى أن عبارة((وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ} فيه ثلاثة أوجه: أحدها: عاينوها , ومن عاين الشيء فقد وقف عليه. والثاني: أنها كانت من تحتهم وهم فوقها , فصاروا وقوفاً عليها. والثالث: أنهم عرفوها بالدخول فيها , ومن عرف الشيء فقد وقف عليه. وذكر الكلبي وجهاً رابعاً: أن معناه ولو ترى إذ حُبِسُوا على النار. {فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِأَيَاتِ رَبّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} تمنوا الرد إلى الدنيا التي هي دار التكليف ليؤمنوا ويصدقوا , والتمني لا يدخله صدق ولا كذب , لأنه ليس بخبر.)) [٥٠] وزيد في المعنى المضمر الذي خلفه الحذف لاتساعه((: وَلَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ في معنى «وقفوا» ستة أقوال. أحدها: حُبِسُوا عليها، قاله ابن السائب. والثاني: عُرِضُوا عليها، قاله مقاتل. والثالث: عاينوها. والرابع: وقفوا عليها وهي تحتهم. والخامس: دخلوا إليها فعرفوا مقدار عذابها، تقول: وقفت على ما عند فلان، أي فهمته وتبيَّنته، ذكر هذه الأقوال الثلاثة الزجاج، واختار الأخير. وقال ابن جرير: عَلَى هاهنا بمعنى «في» .السادس: جعلوا عليها وقفا، كالوقوف المؤبَّدة على سبلها، ذكره الماورديّ. والخطاب بهذه الآية للنّبي صلى الله عليه وسلم، والوعيد للكفار، وجواب «لو» محذوف، ومعناه: لو رأيتهم في تلك الحال، لرأيت عجباً)) [٥١]. مما تقدم يتبين أن الحذف يختفي وراءه اتساعا دلاليا لا يمكن لنص أو صورة الإحاطة به لذا جعل الحذف الاتساع قائما على كل احتمال يكمن فيه جانب التهويل, لتصعد جذوة التحذير. عاذنا الله من شرور ذلك اليوم وأهواله.

ويأتي الحذف في القصص القرآني لإضمار أحداث طويلة. قال: تعالى: ((وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ)) [٥٢]

النص هو من قبيل النصح والإرشاد, الذي وجهه ساقي فرعون له في تفسير الحلم , ويأتي الحذف لاختزال المشهد لسعته عن طريق عبارات محذوفة, فالعبارة المحذوفة عند الطبري هي((قول الله: (وادّكر بعد أمة) ، أي حقبة من الدهر، فأتاه فقال: يا يوسف، إن الملك قد رأى كذا وكذا، فقصّ عليه الرؤيا، فقال فيها يوسف ما ذكر الله لنا في الكتاب)) [٥٣] ويرى سيد قطب أن الدلالة المضمرة مقصودة هنا بقوله((أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون.. ويسدل الستار هنا، ليرفع في السجن على يوسف وصاحبه هذا يستفتيه)) [٥٤] ويقول الطنطاوي في الحذف المتقدم((وقوله يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنا ... من بديع الإيجاز بالحذف في القرآن الكريم، لأن المحذوف لا يتعلق بذكره غرض. والتقدير: قال لهم أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون إلى من عنده العلم بذلك، فأرسلوه فجاء إلى يوسف

في السجن فقال له: يا يوسف يا أيها الصديق. والصديق: هو الإنسان الذي صار الصدق دأبه وشيمته في كل أحواله، ووصفه بذلك لأنه جرب منه الصدق التام أيام أن كان معه في السجن)) (٥٥)

ويأتي الحذف في باب الإرشاد الممزوج بالرحمة الإلهية, ليطرح دلالات متنوعة, مضمرة, ترشد الناس إلى رحمة ربهم وسعة فضله ليحثهم على التفكر, وذلك في قوله تعالى:((وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ)) (٥٦)

((وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ} جَوَابُ لَوْلَا مَحْذُوفٌ، يَعْنِي لَعَاجَلَكُمْ بِالْعُقُوبَةِ، وَلَكِنَّهُ سَتَرَ عَلَيْكُمْ وَدَفَعَ عَنْكُمُ الْحَدَّ بِاللِّعَانِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ يَعُودُ عَلَى مَنْ يَرْجِعُ عَنِ الْمَعَاصِي بِالرَّحْمَةِ، حَكِيمٌ فِيمَا فَرَضَ مِنَ الْحُدُودِ.)) (٥٧) وموضع الفائدة واسع وكبير؛ لأن الآية جاءت في مشكل كبير((أي لحرجتم وشق عليكم كثير من أموركم، ولكن لرحمته ولطفه، شرع لكم من الفرج والمخرج، ما أنزله وأحكمه., وبهذا يتبين أن موضع الشيء المضمر هو ليس لفظة واحدة , وإنما هو (لولا فضل الله ورخمته, لعاجلكم بالعقوبة , ودفع عنكم حد القتل , ودفع الشك, وأسس لكم الفرج , والمخرج...). وفي ذلك اتساع دلالي جلبه الطابع الإرشادي الذي قدمه الطرح القرآني. قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة فيها فرج للأزواج وزيادة مخرج، إذا قذف أحدهم زوجته وتعسر عليه إقامة البينة، أن يلاعنها كما أمر الله عزّ وجلّ)) (٥٨) وألا آراء التي تدل على سعة الحذف متنوعة منها((وقوله عَقِبَ آيَةَ اللِّعَانِ: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تواب حكيم} ، قَالَ الْفَرَّاءُ: جَوَابُ لَوْ مَحْذُوفٌ لِأَنَّهُ مَعْلُومُ الْمَعْنَى .....وَقَالَ الْمُبَرِّدُ: تَأْوِيلُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ: لَهَلَكْتُمْ أَوْ لَمْ يَبْقَ لَكُمْ بَاقِيَةٌ أَوْ لَمْ يَصْلُحْ أَمْرُكُمْ وَنَحْوُهُ مِنَ الْوَعِيدِ الْمُوجِعِ .....وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى لَنَالَ الْكَاذِبَ مِنْكُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَهَذَا أَجْوَدُ مِمَّا قَدَّرَهُ الْمُبَرِّدُ. كَذَلِكَ [لَوْلَا] الَّتِي بَعْدَهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رؤوف رحيم} ، جَوَابُهَا مَحْذُوفٌ وَقَدَّرَهُ بَعْضُهُمْ فِي الْأُولَى لَافْتَضَحَ فَاعِلُ ذَلِكَ وَفِي الثَّانِيَةِ: لَعَجَّلَ عَذَابَ فَاعِلِ ذَلِكَ وَسَوَّغَ الْحَذْفَ طُولُ الْكَلَامِ بِالْمَعْطُوفِ وَالطُّولُ دَاعٍ لِلْحَذْفِ. َقَوْلُهُ: {وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إلينا رسولا فنتبع آياتك} جَوَابُهَا مَحْذُوفٌ أَيْ لَوْلَا احْتِجَاجُهُمْ بِتَرْكِ الْإِرْسَالِ إِلَيْهِمْ لَعَاجَلْنَاهُمْ بِالْعُقُوبَةِ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: تَقْدِيرُهُ: لَأَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: لَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يُحْتَجْ إِلَى إِرْسَالِ الرَّسُولِ وَمُوَاتَرَةِ الِاحْتِجَاجِ.)) (٥٩)

ومن الآيات التي جاءت تحمل بنية الحذف , والتي أعطت معنى الاتساع الدلالي , تلك التي أتت مشابهة للآية السابقة في تبيان رحمة الله سبحانه وتعالى , بيد أنها قد نزلت في اليهود لتبين رحمة الله وفضله عليهم , ذاك الذين قابلوه بالصد والإنكار, فتخرج في طابع تذكيري إرشادي, وفي الوقت ذلك لا يخفى ما فيه من مسحة التحذير, في قوله تعالى:((وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) (٦٠)

فلفظة الخاسرين قد حملت ورائها دلالات إرشادية تقوم على التنبيه للمحذوف المطروح؛ لأنه كثير وفيه قيل: ((فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ).يحتمل وجوهًا: قيل: فضل الله عليكم الإسلام ورحمته: القرآن. وقيل: فضل الله عليكم بمُحَمَّد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ واله وَسَلَّمَ -، بعث إليكم رسولًا؛ ليجمعكم،

ويؤلف بينكم، ويدعوكم إلى دين الله الحق، بعد ما كنتم في فترة من الرسل، وانقطاع من الدِّين والعمل. ويحتمل: فضل الله عليكم؛ لما أَنجا آباءَكم من العذاب، ولم يرسل عليهم الجبل، وإلا ما توالدتم أَنتم. وقيل: فضل الله عليكم؛ لما أَعطاهم التوراة، ووفقهم على قبولها، وإلا كنتم من الخاسرين. وبعضه قريب من بعض)) [٦١] ويقول ابن كثير: ((فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ أي بتوبته عَلَيْكُمْ وَإِرْسَالُهُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ إِلَيْكُمْ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ بِنَقْضِكُمْ ذَلِكَ الْمِيثَاقَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.)) [٦٢] وقال الطنطاوي: أنه جاء في باب التحذير والارشاد((وقوله تعالى: فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ تصريح بما حباهم به- سبحانه- من رأفة بهم، وقبول لتوبتهم، وعفو عن خطيئاتهم، فكأنه- سبحانه- يقول لهم: إنكم بإعراضكم عن طاعتي، ونقضكم لعهدي، وإهمالكم العمل بكتابي، وعدم تأثركم بآياتي ونذرى، قد استحققتم غضبى وعذابي، ولكن حال دون حلولهما بكم. فضلي الذي تداركم ورحمتي التي وسعتكم، ولطفي وإمهالي لكم، ولولا ذلك لكنتم من الخاسرين في دنياكم وآخرتكم، بسبب ما اجترحتم من نقض ميثاقكم وبذلك تكون الآيتان قد ذكرتا بنى إسرائيل المعاصرين للعهد النبوي بما كان من أسلافهم من جحود النعمة، ونقض للعهد، وفي هذا التذكير تحذير لهم من السير على طريقتهم، ودعوة لهم إلى الدخول في الإسلام واتباع محمد صلّى الله عليه وسلّم.)) [٦٣] مما تقدم يتبين أن الدلالة المغيبة كانت كبيرة , فلذا جاء الحذف ليفتح الباب على الدلالة المتوقعة التي تقابل رحمة الله الواسعة سبحانه وتعالى.

ومن الآيات التي تدعو للإرشاد المبين للرحمة الإلهية تلك التي تظهر فيها كلمة لولا, فيختفي ورائها الحذف المتسع, الذي يبين صعوبة الإحاطة بالرحمة الربانية , ومنه قوله تعالى :

((وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ)) [٦٤]

فالحذف ظاهر في الآية المباركة, يقول : الزجاج التقدير((لَجُوزُوا بأعمالهم، والكلمة هي تأجيله الساعة، يدل على ذلك ,قوله: (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ)) [٦٥]ويرى محمد جمال الدين أن ((لَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى وهو تأخير العذاب. إلى يوم القيامة لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ أي باستئصالهم، لاستجاب جناياتهم)) [٦٦] والظاهر أن التقدير المحذوف واسع مقدر بـــــ(ولولا كلمة من الله لعجل لهم بعذاب الدنيا الذي هو متنوع منه: عذاب المرض , أو عذاب المصائب , أو عذاب الكوارث , أو عذاب القتل, أو عذاب الآخرة بالموت , والحساب والعذاب الأخروي , وعدم غفران الذنب.....الخ. والظاهر أن العدد غير قابل للحصر ؛ لأنه جاء في رحمة الله سبحانه وتعالى., ليتضح فضل الله سبحانه على الناس.

ويدخل الحذف للاتساع في باب الإرشاد والتوجيه الداعي للإيمان بالله ـــ جل ذكره ـــ الذي يتضمن أشياء كثيرة تقف مقابلا لإحداث شرط الإيمان والتي لا يمكن للذكر أن يستوعبها, لطولها , وكثرتها , وربما لتجددها مع تطور العصر والأزمان , وذلك في قوله تعالى:((وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) [٦٧]

فالنص القرآني موجه لإرشاد اليهود لطبيعة الايمان وتحذيرهم من الوقوع في الزلل والعناد فـــ((الذين يُؤْمِنُونَ} هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه من الذين آمنوا بكل وحي أنزل من عند الله وأيقنوا

بالآخرة إيقاناً زال معه ما كانوا عليه أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وأن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودات ثم إن عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا في جملة المتقين وإن عطفتهم على المتقين لم يدخلوا فكأنه قيل: هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما أنزل إليك أو المراد به وصف الأولين ووسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وقوله ... إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم ...والمعنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه {بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ} يعني القرآن والمراد جميع القرآن لا القدر الذي سبق إنزاله وقت إيمانهم لأن الإيمان بالجميع واجب وإنما عبر عنه بلفظ)) [٦٨]

فالنص القرآني المبين لطبيعة وماهية الايمان المطلوب هنا يدل على شمولية كبيرة لا تحصر فالإيمان هنا كما يبينه حسن أيوب قائلا : ((سأل جبريل النبي (صلى الله عليه واله وسلم) عدة أسئلة تعليمية وكان منها قوله: فأخبرني عن الإيمان؟ قال:" أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره " وبذلك تدرك أن أركان الإيمان هي: الإيمان بالله، وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.)) [٦٩] وهؤلاء المفلحين لهم صفات المتقين ووصفهم كبير لا يمكن لمه , بعباره أخرى فالمعنى في الحقيقة أوسع من ذلك فالإيمان المطلوب فيه النصح في اتباعه هو: ايمان المتقين والمؤمنين بالعذاب والجنة , والمؤمنين بما أنزل من ترك المحرمات وإقامة الصلوات وأركان الدين كلها والمؤمنين بالغيب والمصدقين بيوم الحساب والنشر.... الخ بعبارة أخرى فإن الحذف قد توسع حتى شمل وجوب الالتزام بكل ما أرشد اليه النص القرآني وترك كل ما نهى عنه والشيء حاصل مع النبي وحديثه الشريف .

وحذف جملة أو أكثر من جملة ورد كثيرا في النص القرآني في باب القص, وكثير منه أريد به الإرشاد أو التوجيه، وقد جاء للتركيز على الأهم, ومن أمثلته قوله تعالى في حكاية موسى عليه السّلام مع أب ابنتي شعيب: ((فَسَقى لَهُما ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقالَ رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلَى اسْتِحْياءٍ قالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا.)) [٧٠]

فالنص المغيب هو نص قصصي فيه سرد, كثير ولكن جاء الحذف مركزا على الأهم, والباكورة والمحصلة النهائية ((فالمحذوف هنا جمل عدة، ونظم الكلام من غير حذف أن يقال: فذهبتا إلى أبيهما وقصتا عليه ما كان من أمر موسى، فأرسل إليه، فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلَى اسْتِحْياءٍ.)) [٧١] فالمحصلة النهائية من السرد الكثير الغائب الإرشاد إلى رحمة الله سبحانه وتعالى وحسن تدبيره, لعبده, فعبارة(تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ) تبين الإرهاق الذي حل بموسى (عليه السلام) , كذلك وعبارة(إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) هي تحمل حذفا متسعا, فيمكن تقديره(فقير لرد جمائلك وسترك لي وحفظك وكمال عنايتك...) ولذا يسطع الأهم وهو فرج الله سبحانه ورعايته بعبده (إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا) وماهي في الحقيقة إلا رعاية المولى وكفالته لعبده بالأمان والعمل والطعام والأسرة.. والله العالم.

ومن أمثلة الإيجاز في القصص القرآني بحذف أكثر من جملة أيضا قوله تعالى في قصة سليمان وقصة الهدهد في إرساله بالكتاب إلى بلقيس والذي تضمن الطابع الإرشادي ((قالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ

الْكاذِبِينَ. اذْهَبْ بِكِتابِي هذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ ماذا يَرْجِعُونَ. قالَتْ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ)) (٧٢)

فالآية المباركة جاءت في باب الإرشاد والتوجيه الممزوج بالتحذير, فالتوجيه والإرشاد, نقلته العبارة الموجهة إلى الهدهد من قبل النبي سليمان عليه السلام :(اذهب بكتابي هذا...فانظر ماذا يفعلون) فالتوجيه يتضمن إلقاء الكتاب ورؤية ماذا يكون من أمرهم, أما التحذير فقد تضمنه مضمون الكتاب, ويظهر أن النص القصصي القرآني قد تضمن حذف أكثر من جملة, ليخلق حالة من الاتساع والتخيل للمشهدية المتصورة بعد إلقاء الكتاب ((فالمحذوف هنا أكثر من جملة ونظم الكلام من غير حذف أن يقال: فأخذ الهدهد الكتاب وذهب به إلى بلقيس فلما ألقاه إليها وقرأته قالت: يا أَيُّهَا الْمَلَأُ ...)) (٧٣)

ومن أمثلة حذف الجملة التي تدخل في باب الإرشاد التوجيه والتي تحمل معنى الاتساع في الدلالة الغائبة، قول الله عزَّ وجلَّ :((يا عبادي الذين آمنوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فاعبدون)) (٧٤).

فالنص الإرشادي القرآني يأتي بيسر وسهولة, ليتواشج مع مضمون النص الإرشادي, فيتقدم النداء للتنبيه, وتدخل عبارة (عبادي) للتقريب, ثم يدخل الحذف الجملي بعد (إن أرضي واسعة) ((أي: فإِنْ لم يتأَتَّ لكُمْ إخلاصُ العبادة لي في هذه الأرضِ فإِيَاي فاعْبُدُني في غيرها)) (٧٥) وتقدير الكلام كبير ومتنوع وهو إن أرضي واسعة فإن لاقيتم ضيما فهاجروا, أو ظالما, أو فقرا أو.....الخ

ومن الآيات التي جاءت في باب القصص القرآني, والتي تحمل معنى الإرشاد والتوجيه وفيها حذف أكثر من جمله بسبب سعة الدلالة المحذوفة أو المضمرة, قوله تعالى:((فَقُلْنَا اضربوه بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي الله الموتى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)) (٧٦)

فالقصة داخلة في باب الإرشاد والتوجيه, ويظهر الإضمار الذي يخفي وراءه الاتساع فعبارة (فقلنا اضربوه) أخفت ورائها حذف جملي مقدر بـــ((أي: فقلنا اضربوا القتيل ببعض البقرة المذبوحة، فضربوه ببعضها، فصار القتيل حيّاً فَأَخْبَرَ عنْ قاتِلِهِ)) (٧٧)

ومن باب الارشاد والتوجيه الذي تضمن, مخاطبة اليهود الذين ظلوا وغاب عنهم الرشد, فظلموا أنفسهم, قوله تعالى : ((وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ))(٧٨)

فـــ(({أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} » أنفسَهم «مفعولٌ مقدَّمٌ، و» يَظْلِمُون «في محلِّ النصْبِ لكونِه خبرَ» كانوا «، وقُدِّم المفعولُ إيذاناً باختصاصِ الظلم بهم وأنَّه لا يتعدَّاهم. والاستدراكُ في» لكنْ «واضحٌ. ولا بُدَّ من حَذْفِ جملةٍ قبل قوله {وَمَا ظَلَمُونَا} ، فقدَّره ابنُ عطية: فَعَصَوْا ولم يقابلوا النِّعَمَ بالشكر. وقال الزمخشري:» تقديرُه: فَظَلَمُونا بأَنْ كفروا هذه النِّعَمَ وما ظلمونا، فاختصرَ الكلامَ بحذْفِه لدلالةِ {وَمَا ظَلَمُونَا} عليه.)) (٧٩) فالحذف جاء في باب الاتساع الدلالي الحامل للإرشاد.

ومن الحذف الدال على التوسع من خلال الإرشاد الممزوج بالتقريع, هو مخاطبة موسى عليه السلام لبني اسرائيل بعد أن عبدوا العجل في غيابه :((إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخاذِكُمُ الْعِجْلَ)) (٨٠)

فعبارة (إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) جاءت لتدخل في باب الإرشاد القائم على اللوم الشديد, وتظهر عبارة (بِاتِّخاذِكُمُ الْعِجْلَ) لتكون السبب المؤدي إلى ظلم النفس, ويبدو أن العبارة المحذوفة لاتقتصر على المفعول به المقدر بـــ(باتخاذكم عبادة العجل) بل تتجاوزه إلى حذف جملي, بينه صاحب التفسير المحيط بقوله أن فيه:((حَذْفَ جُمْلَةٍ .... وَلَا يَلْزَمُ فِي الثَّانِي إِلَّا حَذْفَ الْمَفْعُولِ، وَحَذْفُ الْمُفْرَدِ أَسْهَلُ مِنْ حَذْفِ الْجُمْلَةِ. فَعَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ فِيهِ ذَمُّ الْجَمَاعَةِ بِفِعْلِ الْوَاحِدِ، لِأَنَّ الَّذِي عَمِلَ الْعِجْلَ هُوَ السَّامِرِيُّ، .... وَفِي اسْمِهِ وَحِكَايَةِ إِضْلَالِهِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ، وَذَلِكَ عَادَةُ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهَا تَذُمُّ وَتَمْدَحُ الْقَبِيلَةَ بِمَا صَدَرَ عَنْ بَعْضِهَا. وَعَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي فِيهِ ذَمُّهُمْ بِمَا صَدَرَ مِنْهُمْ، وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ فِي الْعِجْلِ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ لِتَعْرِيفِ الْمَاهِيَّةِ، إِذْ لَمْ يَتَقَدَّمْ عَهْدٌ فِيهِ، وَعَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي لِلْعَهْدِ السَّابِقِ، إِذْ كَانُوا قَدْ صَنَعُوا عِجْلًا ثُمَّ اتَّخَذُوا ذَلِكَ الْعِجْلَ إِلَهًا، وَكَوْنُهُ عِجْلًا ظَاهِرٌ فِي أَنَّهُ صَارَ لَحْمًا وَدَمًا، فَيَكُونُ عِجْلًا حَقِيقَةً وَيَكُونُ نِسْبَةُ الْخُوَارِ إِلَيْهِ حَقِيقَةً،)) (٨١) فالحذف قد وقع في باب الاتساع الجملي الذي لا يستوعبه لفظ واحد. فالعبارة يمكن أن تقدر(إنكم قد ظلمتم أنفسكم حين غيبتم العقل وتركتم الله , وصدقتم السامري وأعطيتموه عقولكم وأنفسكم وذهبكم فصنع لكم عجلا له خوار فعدتموه...) وهذا الحذف فيه اتساع, ويظهر ـ والله أعلم ـ أن السبب القابع وراء ذلك هو التركيز على الأهم, وترك ما سوى ذلك ؛ لأنه ذكره مؤلم.

ومن أمثلة الحذف الجملي الداخل في باب الإرشاد والتوجيه والذي يدخل في باب الاتساع في المعنى وهو مشابه لما تقدم من قصة العجل والذي يحمل اللوم , الذي ينسرب في باب التوجيه والإرشاد القائم على النصح المفضي إلى خسارة من يقوم بذلك, في قوله تعالى :((وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ)) (٨٢)

فالاتساع الدلالي القرآني داخل في باب حذف الجملة التي تخفي ورائها التوسع في المعنى , يقول صاحب الدرر:((قوله: {أَلَمْ يَرَوْاْ} إنْ قلنا: إنَّ «اتخذ» متعدية لاثنين، وإن الثاني محذوف تقديره: واتخذ قوم موسى من بعده عجلاً جسداً إلهاً فلا حاجة حينئذ إلى ادِّعاء حذف جملة يتوجَّه عليها هذا الإنكارُ، وإن قلنا إنها متعدية لواحد بمعنى صنع وعمل، أو متعدية لاثنين، والثاني هو «من حليّهم» فلا بدَّ مِنْ حَذْفِ جملة قبل ذلك ليتوجَّه عليها الإنكار، والتقدير: فعبدوه.)) (٨٣) وتقدير الكلام واسع متعدد وهو : أن السامري أتخذ لهم بعد غياب موسى عجلا ليس حقيقيا وجمع حليهم, وكان ذلك من نقص عقولهم وقلة ايمانهم....الخ بعبارة أخرى فإن النص فيه إرشاد وتوجيه إلى قلة عقولهم تلك العقول التي عبدت مالا ينفع ولا يضر, من دون الله تعالى مع وجود الدلائل, وذلك الأمر يؤدي إلى الاعتبار والتفكر وعاقبة الخسران لمن ضيع دينه بمخالفة العقل والمنطق والحجج والبراهين الثابتة.

وقد يأتي الحذف القرآني داخلا في باب التوسع الدلالي فيما إذا كان الطرف المقابل لدية قدرة على إطاعة الأمر الرباني بكل حذافيره وبأدق تفاصيله فيكون الذكر غير قادر على الإحاطة بذلك الطرح, كما في باب

إقرار الأنبياء لله سبحانه وتعالى وسرعة الاستجابة وتنوعها, ولا يخفى ما في النص من جانب إرشادي فالأنبياء هم القدوة التي يجب أن يتمثل بها الكل في سرعة الاستجابة لأمر الله سبحانه وتعالى. , ومنه قوله تعالى :((وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)) (٨٤)

ففي النص المتقدم حوارية بين الله سبحانه وتعالى وبين النبيين صلوات ربي عليهم أجمعين, , ويأتي الاستفهام من الله ـ سبحانه وتعالى ـ (أأقررتم) موجها للأنبياء طالبا للجواب المتسارع لقصر الأداة ولخاصية السرعة التي تحويها, ويأتي الجواب حاملا السرعة بالإيجاب (أقررنا) ليخفي ورائه دلالات من الحذف فـ((قوله: {أَقْرَرْنَا} أي: بالإيمان به، وبنصرته، وفي الكلام حذف جملة، حُذِفَت لدلالة ما تقدم عليها؛ إذ التقدير: قالوا: أقررنا، وأخذنا إصرك على ذلك كلِّه.)) (٨٥) , والظاهر أن الحذف أبعد من ذلك فإقرار الأنبياء ــ والله أعلم ــ قد جاء بكل ما أنزل الله من الكتب , والأنبياء , وبكل تعاليمه , وبهديه , وبجهاده , وبحلاله, وحرامه , وطاعته, ... وهي سلسلة طويلة قد يضيق عنها الذكر ولذا كان الحذف هو الوسيلة الوحيدة القادرة على لم أبعادها المتوسعة , لجعل المتلقي سابرا فيها. والله العالم.

وقد يأتي الحذف في باب الإرشاد الحامل للوم والتحذير , ومنه قول الله سبحانه وتعالى , حين انهزم المسلمون لما سمعوا بخبر قتل النبي , كذبا فجاء اللوم , الحامل للإرشاد ليتضمن العبرة التي جاء الحذف متخللا مفاصلها ليلم الحدود الإرشادية عن طريق وسيلة التذكير , وربط النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بمن قبله من الأنبياء السابقين الذين تعرضوا للأذى والقتل , مع صبر أقوامهم ليتم النصح والإرشاد , وذلك في قوله تعالى:((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرسل أَفإِنْ مَّاتَ أو قتل انقلبتم على أعقابكم)) (٨٦)

إذ تتقدم عبارة (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ) لتحصر النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في باب الإبلاغ للرسالة, وتهون من موته أو قتله أمام وجود الله سبحانه وتعالى وبقاء, ويدخل الحذف في مفاصلها فـ((قوله: {أَفإِنْ مَّاتَ} الهمزة لاستفهام الإنكار، والفاء للعطف، ورتبتها التقديم؛ لأنها حرف عطف، وإنما قُدِّمت الهمزة؛ لأن لها صَدر الكلام، وقد تقدم تحقيقه وأن الزمخشري يقدِّر بينهما فعلاً محذوفاً تعطف الفاء عليه ما بعدها. قال ابن الخطيب كَمَالُ الدِّينِ الزَّمَلْكَانِيُّ: «الأوجه: أن يقدر محذوف بعد الهمزة، وقبل الفاء، تكون الفاء عاطفة عليه، ولو صُرِّحَ به لقيل: أتؤمنون به مدة حياته فإن مات ارتددتم، فتخالفوا سُنَنَ أتباع الأنبياء قبلكم في ثباتهم على مِلَلِ أنبيائهم بعد وفاتهم. وهذا هو مذهب الزَّمَخْشَرِيِّ، إلا أنَّ الزمخشريَّ - هنا - عبر بعبارة لا تقتضي مذهبه الذي هو: حذف جملة بعد الهمزة؛ فإنه قال: الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قَبْلَها على معنى «التسبيب» ، والهمزة لإنكار أن يجعلوا خُلُوَّ الرُّسُلِ قبله سبباً لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه - بموتٍ أو قَتْل - مع علمهم أن خُلُوَّ الرُّسُلِ قبله، وبقاء دينهم متمسكاً به يجب أن يجعل سبباً للتمسُّك بدين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا للانقلاب عنه)) (٨٧) والملاحظ مما تقدم أن الآية المباركة تخفي ورائها حذفا واتساعا في المعنى لا يستطيع الذكر لمه وحصره , وإنما عمل الحذف على استيعاب مفاصله.

ومن باب الحذف الداخل في باب الإرشاد والتوجيه, الذي يصل إلى التحدي, ويبقى في إطار تحريك العقول إلى الدليل, قوله تعالى مخاطبا المكذبين للقرآن الكريم زاعمين أنه من صنع النبي الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم), في قوله تعالى: ((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) (٨٨)

فعبارة (أَمْ يَقُولُونَ) فيها الإنكار المتمثل بالهمزة, التي تخفي ورائها الحذف القائم على الاتساع في المعنى وهي :((منقطعةٌ، فتقدَّر ب «بَلْ» ، والهمزة عند سيبويه، وأتباعه، والتقدير: بل أتقُولُون، انتقل عن الكلامِ الأول، وأخذ في إنكار قولٍ آخر. والثاني: أنَّها متصلةٌ، ولا بُدَّ حينئذٍ من حذف جملةٍ؛ ليصحَّ التعادلُ، والتقدير: أيقرون به، أم يقولون افتراهُ، وقال بعضهم: «أمْ» هذه بمنزلة الهمزة فقط، وعبَّر بعضهم عن ذلك، فقال: «الميمُ زائدة على الهمزة» وهذا قولٌ ساقطٌ؛ إذ زيادة الميم قليلةٌ جدّاً، ولا سيَّما هنا، وزعم أبو عبيدة: «أنها بمعنى: الواو، والتقدير: ويقولون افتراه» .قوله: «قُلْ فَأْتُواْ» : جواب شرطٍ مقدَّر، قال الزمخشري: «قُلْ: إنْ كان الأمرُ كما تزعمون، فأتُوا أنتم على وجْهِ الافتراءِ بسورةٍ مثله، فأنتم مثلي في العربيَّة، والفصاحة، والأبلغيَّة» .وقرأ عمرو بن فائد: «بسُورَةِ مثْلِهِ» بإضافة «سُورة» إلى «مِثْلِهِ» على حذف الموصول، وإقامة الصِّفة مقامه، والتقدير: بسورة كتاب مثله، أو بسُورة كلام مثله، ويجُوز أن يكون التقديرُ: فأتُوا بسورةٍ بشر مثله، فالضَّمير يجوز أنْ يعُود في هذه القراءةِ على القرآنِ، وأن يعود على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأمَّا في قراءة العامَّة؛ فالضمير للقرآن فقط فإن قيل: لِمَ قال في البقرة: {فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ} [البقرة: ٢٣] ، وقال هنا: «فأتُوا بسُورةٍ مثلِهِ» ؟ .فالجواب: أنَّ محمداً - عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ - كان أمِّيّاً، لم يتلمذْ لأحدٍ، ولم يُطالع كتاباً فقال في سورة البقرة: «مِن مثله» أي: فلْيَأتِ إنسان يساوي محمَّدا (صلى الله عليه واله وسلم) في هذه الصِّفات، وعدم الاشتعال بالعُلُوم، بسورة تُسَاوي هذه السُّورة، وحيث لا يقدرُون على ذلك؛ فظهور مثل هذه السُّورة من إنسان مثل محمَّد - عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ -، في عدم التتلمذ والتَّعلم، يكون معجزاً. وهُنا بيَّن أن السُّورة في نفسها مُعجزةٌ في نفسها؛ فإنَّ الخلق وإن تتلمذُوا وتعلَّمُوا؛ فإنَّه لا يمكنهم الإتيان بمعارضة سُورة واحدة من هذه السور؛ فلذلك قال - تعالى - ههنا: «فأتُوا بسُورةٍ مثلِهِ)) (٨٩) فالجمل الغائبة ليست واحدة وإنما هي كثيرة ومتنوعة ويمكن أن تكون: ((: أيقرون بحقيقة القرآن، أم يقولون: افتراه؛ أي: بل يقول كفار مكة: اختلق محمَّد، - صلى الله عليه وسلم -، القرآن من تلقاء نفسه؛ أي: ما كان ينبغي أن تقولوا: إن محمدًا، - صلى الله عليه وسلم -، افتراه من عند نفسه، واختلقه. {قُلْ}: لهم، يا محمَّد، إظهارًا لبطلان مقالتهم الفاسدة: إن كان الأمر كما تقولون من أني اختلقته وافتريته .. {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ}؛ أي: بسورة واحدة مماثلة لهذا القرآن، في الفصاحة والبلاغة، وحسن تركيبه وأسلوبه، ورزانة معانيه وعلمه، مفتراة من عند أنفسكم، فإن لساني لسانكم، وكلامي كلامكم، وأنتم أشد مني تمرنًا وتمرسًا للنثر والنظم منه {وَادْعُوا} للمعاونة والمساعدة {مَنِ اسْتَطَعْتُمْ} وقدرتم دعاءه وطلبه {مِنْ دُونِ اللَّهِ} سبحانه وتعالى؛ أي: من أصنامكم وآلهتكم)) (٩٠)

وبعد المرور بهذا البحث الذي أدخلنا في بركات القرآن الكريم الذي وقفت أمامه العقول حيرى لبلاغته , وبيانه , وإعجازه اللغوي يحاول الباحث أن يضع أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

١ــ القرآن الكريم في مجمله داخل في باب الإرشاد والتوجيه , فالقصص القرآني داخل في ذلك , وكذلك التحذير, وبل وحتى آيات العذاب الأخروي , تقوم على التهويل المغلف بالإرشاد والتحذير.

٢ــ الحذف كما شاع في النحو وفي البلاغة العربية قائم على حذف حرف أو كلمة أو جملة أو جمل , وظهر من خلال البحث المقدم أن المسألة تتجاوز ذلك , فالحذف وإن كان في كلمة واحدة فإن إضمارها يخفي جملا عدة , ولو كان الأمر عائدة على الكلمة لربما كان ذكرها لا يشكل أثرا كبيرا بقدر الجمل المحذوفة.

٣ــ الحذف يقوم على الإيجاز , بيد إن النص القرآني لم يكن الهدف فيه هو الإيجاز بقدر ما كان الهدف وراء ذلك الاتساع الدلالي, ولم يكن الحذف قائما وراءه الدلالة المعروفة من السياق بقدر ما كان خلفه التحميل الدلالي لمعاني متنوعة قد لا يمكن لمها من خلال لفظة واحدة ذكرت.

٤ــ القرآن الكريم هو كتاب سماوي يناسب الأزمان كلها والعصور والأمزجة والثقافات المنوعة , ولهذا جاء الحذف مشكلا الاتساع الدلالي القادر على استيعاب الدلالات المتطورة في الأزمان كلها.

٥ــ قد يأتي الحذف ليشكل الاتساع الدلالي الذي لا يقوم إلا بالحذف فيما لو جاء في باب العد للأشياء التي لا يمكن إحصائها , كما تبين في البحث المقدم مثل إحصاء نعم الله سبحانه وتعالى على المؤمنين, أو على الأنبياء والمرسلين.

٦ــ قد يأتي الاتساع الدلالي في باب الصور القرآنية التي تخفي مشاهد وراء لفظة مضمرة, فتظهر الصور المتسعة خلف اللفظة المضمرة, لتكون معها قادرة على استيعاب التكثيف الصوري الغائب , كما وصف مشاهد العذاب الأخروي.

فهرس الهوامش

(١) ينظر :الكتاب:٣ : ٥٢٦ .
(٢)المقتضب ,المؤلف: ٢ : ٣٣٢
(٣)الكتاب :٢ : ٣٨
(٤)الأصول في النحو:١ : ٢٥٥ .., وينظر: الخصائص :١ : ٢٩١ .
(٥)المقتضب : ٢ : ٨١ .
(٦) مغني اللبيب عن كتب الأعاجيب ٧٨٩ .
(٧) البلاغة العربية , ١ : ٣٢٩ .
(٨) التذكرة الحمدونية ,: ٦ : ١٣١ .
(٩)خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني :١٥٤ .
(١٠) الصناعتين ,المؤلف: ١٨١ .
(١١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ,المؤلف: ١ : ١٠٣
(١٢) سر الفصاحة , :٢١١ .
(١٣) سر الفصاحة :٢١١
(١٤) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٢ : ٥١ .
(١٥) الإيضاح في علوم البلاغة , م (١٥)
(١٥) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ١ : ١٠٧ .

(١٦) الإيضاح في علوم البلاغة:٢ : ١٥٨ .

(١٧) البقرة/٣٥ .

(١٨) البقرة/٤٥ .

(١٩) آل عمران / ٣٢.

(٢٠) آل عمران/ ٤٣ .

(٢١) الرد على شبهات المستعينين بغير :٥٣.

(٢٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد : ٦٨ .

(٢٣) آل عمران/ ١٧٢ , ١٧٣ , ١٧٤ .

(٢٤) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد , : ٢ : ٦٨ .

(٢٥) الإيمان بالقدر ,:٣١٦ .

(٢٦) إبراهيم/ .٣٤ .

(٢٧) الكافرون/ ١ـ٤ .

(٢٨) تفسير الماوردي = النكت والعيون: ٦ : ٢٧٥

(٢٩) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ,:٣ :٤٤٠ .

(٣٠) الشمس/ ١١ ــ ١٤ .

(٣١) تفسير مقاتل بن سليمان ,:٤: ٧١٣ .

(٣٢) الواقعة/ ٦, ٧, ٨ ,٩ .

(٣٣) البقرة/ ٣٤ .

(٣٤) الرسالة المفيدة ,:٤٥ .

(٣٥) المفيد في مهمات التوحيد:٤٥ .

(٣٦) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة:٣٩ .

(٣٧) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) ,المؤلف:١٣٩:٣ .

(٣٨) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير): ٢: ١٣.

(٣٩) البقرة/ ٤٠ .

(٤٠) اللباب في علوم الكتاب:٣: ٧ .

(٤١) تفسير الشعراوي – الخواطر ,:١ :٢٨٨ .

(٤٢) صفوة التفاسير , المؤلف: محمد علي الصابوني:١/ ٤٨ .

(٤٣) البقرة/ ٣٨ .

(٤٤) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ٣ : ٤٧٢

(٤٥)تفسير القرآن العظيم :١: ٢٤٠ .

(٤٦) الإنسان/ ٢٥ .

(٤٧) : فصل الخطاب في شرح (مسائل الجاهلية، التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب رحمه الله):١: ٥٢ .

(٤٨) تفسير القرآن: ٢ /١٣٩

(٤٩) الأنعام/ ٢٧ .

(٥٠)تفسير الماوردي = النكت والعيون:٢/ ١٠٥ .

(٥١) القيامة/٢٧, ٢٨ .

(٥٢) يوسف/ ٤٥ , ٤٦ .

(٥٣)جامع البيان في تأويل القرآن:ج١٦ /١٢٤ .

(٥٤)في ظلال القرآن : ٤ : ١٩٩٣.

(٥٥)التفسير الوسيط للقرآن الكريم ,المؤلف: محمد سيد طنطاوي:٧/ ٣٧٠ .

(٥٦) النور/١٠ .

(٥٧)معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي):٦ /١٧

(٥٨)محاسن التأويل:٧ /٣٣٣.

(٥٩)البرهان في علوم القرآن : ٣ :١٨٧ .

(٦٠) البقرة/ ٦٣ ,٦٤.

(٦١)تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة):١ : ٤٨٧ .

(٦٢)تفسير القرآن العظيم (ابن كثير):١ : ١٨٥.

(٦٣)التفسير الوسيط للقرآن الكريم ,المؤلف: محمد سيد طنطاوي :١ :١٦٠ .

(٦٤) الشورى/ ١٤ .

(٦٥) معاني القرآن وإعرابه: ٤ :٣٩٦ .

(٦٦)محاسن التأويل :٨ :٣٥٩

(٦٧) تبسيط العقائد الإسلامية ,المؤلف: حسن محمد أيوب (المتوفى: ١٤٢٩هـ) : ٢٤

(٦٨) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل):١: ٤٢.

(٦٩) تبسيط العقائد الإسلامية, المؤلف: حسن محمد أيوب (المتوفى: ١٤٢٩هـ):٢٤ .

(٧٠) القصص/ ٢٥

(٧١) علم المعاني ,المؤلف: عبد العزيز عتيق (المتوفى: ١٣٩٦ هـ):١٨٤ .

(٧٢) النمل/٢٩ .

(٧٣) علم المعاني ,المؤلف: عبد العزيز عتيق (المتوفى: ١٣٩٦ هـ):١٨٤ .

(٧٤) العنكبوت/ ٢٩

(٧٥) البلاغة العربية ,المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ): ١: ٣٣٦ .

(٧٦) البقرة/ ٢ .

(٧٧) البلاغة العربية: ١: ٣٣٦ .

(٧٨) البقرة/ ٥٦ .

(٧٩)الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ١ :٣٧١ .

(٨٠) البقرة/ ٥٤.

(٨١)لبحر المحيط في:١: ٣٢٣ .

(٨٢) الأعراف/١٤٧ , ١٤٨ .

(٨٣)الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٥ : ٤٦٠ .

(٨٤) آل عمران/ ٨٢

(٨٥) اللباب في علوم الكتاب :٥ : ٣٦٥ .

(٨٦) آل عمران/ ١٤٤ .

(٨٧) اللباب في علوم الكتاب: ج٥ : ٥٧٢

(٨٨) يونس/ ٢٨ .

(٨٩) اللباب في علوم الكتاب: ج١ :٣٣٣ .

(٩٠) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن:١٢ : ٢٤٧.

المصادر

ـالأصول في النحو ,المؤلف: أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ) ,المحقق: عبد الحسين الفتلي ,الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت .

ـــ إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ,المؤلف : صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان الناشر : مؤسسة الرسالة ,الطبعة : الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .

ـ الإيمان بالقدر ,المؤلف: عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي, - المكتبة العصرية للطباعة والنشر (٢٧١ صفحة)- دار المعرفة للطباعة والنشر .

ـ الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة ,المؤلف: عبد الله بن عبد الحميد الأثري ,مراجعة وتقديم: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح ,الناشر: مدار الوطن للنشر، الرياض ,الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

ـــ البحر المحيط في التفسير ,المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ,المحقق: صدقي محمد جميل ,الناشر: دار الفكر – بيروت ,الطبعة: ١٤٢٠ هـ .

ـــ البرهان في علوم القرآن ,المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) ,المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم م ,الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ,الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - م ١٩٥٧.

ـ البلاغة العربية ,المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ) ,الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ,الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

ـــ تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ),حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ,راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو ,الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت ,الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

ـــ تبسيط العقائد الإسلامية , المؤلف: حسن محمد أيوب (المتوفى: ١٤٢٩هـ) ,الناشر: دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان ,الطبعة: الخامسة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

ـــ التذكرة الحمدونية ,المؤلف: محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: ٥٦٢هـ) ,الناشر: دار صادر، بيروت ,الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ .

ـ تفسير القرآن ,المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) ,المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ,الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية ,الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

ـ تفسير القرآن العظيم ,المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ,المحقق: سامي بن محمد سلامة ,الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ,الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .

ـ تفسير الشعراوي – الخواطر ,المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) ,الناشر: مطابع أخبار اليوم١٩٩٧م.

ـ تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) ,المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ,المحقق: محمد حسين شمس الدين ,الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ,الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.

تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) ,المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ,المحقق: محمد حسين شمس الدين ,الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ,الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ .

ـ تفسير الماوردي = النكت والعيون ,المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) ,المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ,الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

ـ تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) ,المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ,المحقق: محمد حسين شمس الدين ,الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ,الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ .

التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ,المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي ,الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق ,الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ .

ـ تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)المحقق: د. مجدي باسلوم الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ,الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

ـ التفسير الوسيط للقرآن الكريم .المؤلف: محمد سيد طنطاوي ,الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ,الطبعة: الأولى, ,تاريخ النشر: أجزاء ١ - ٣: يناير ١٩٩٧جزء ٤: يوليو ١٩٩٧جزء ٥: يونيو ١٩٩٧,أجزاء ٦ - ٧: يناير ١٩٩٨أجزاء ٨ - ١٤: فبراير ١٩٩٨جزء ١٥: مارس ١٩٩٨م.

ـ جامع البيان في تأويل القرآن ,المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ),المحقق: أحمد محمد شاكر ,الناشر: مؤسسة الرسالة .الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

ـ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ,المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ) ,ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي ,الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

ـ خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني ,المؤلف: محمد محمد أبو موسى ,الناشر: مكتبة وهبة ,الطبعة: السابعة د.ت .

ـ الخصائص ,المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: الرابعة .

ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ,المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) ,المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط ,الناشر: دار القلم، دمشق .

ـ الرد على شبهات المستعينين بغير الله ,المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (المتوفى: ١٣٢٧هـ) 'الناشر: مطبعة دار طيبة _ الرياض _ السويدي ,الطبعة: ١٤٠٩_١٩٨٩م.

ـ الرسالة المفيدة ,المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ) ,المحقق: محمد بن عبد العزيز المانع ,الناشر: رئاسة إدراة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

ـ سر الفصاحة ,المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى: ٤٦٦هـ) ,الناشر: دار الكتب العلمية ,الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ_١٩٨٢م.

ـ صفوة التفاسير ,المؤلف: محمد علي الصابوني ,الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ,الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

ـ الصناعتين ,أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) ,المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ,الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت ,عام النشر: ١٤١٩ هـ .

ـ الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ,المؤلف: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (المتوفى: ٧٤٥هـ)الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت ,الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

ـ علم المعاني ,المؤلف: عبد العزيز عتيق (المتوفى: ١٣٩٦ هـ) ,الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ,الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

ـ فتحُ البيان في مقاصد القرآن ,المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) ,عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري ,الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَشْر، صَيدَا – بَيروت ,عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

ـ في ظلال القرآن ,المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) ,الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة ,الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ .

ـ الكتاب ,المؤلف: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ) ,المحقق: عبد السلام محمد هارون ,الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة ,الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

ـ اللباب في علوم الكتاب ,المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) ,المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ,الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ,الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م .

ـ محاسن التأويل ,المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود ,الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت ,الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ .

ـ معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ,المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) ,المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش ,الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ,الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

ـ معاني القرآن وإعرابه ,المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) ,المحقق: عبد الجليل عبده شلبي ,الناشر: عالم الكتب – بيروت ,الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ,المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام(المتوفى: ٧٦١هـ) المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله ,الناشر: دار الفكر - دمشق
الطبعة: السادسة، ١٩٨٥

ـــ مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ,المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ,الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ,الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

ـــ المفيد في مهمات التوحيد, المؤلف: الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي ,الناشر: دار الاعلام ,الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ- ١٤٢٣هـ .

ـ المقتضب ,المؤلف: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ) ,المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة. ,الناشر: عالم الكتب. – بيروت .

ـ القول السديد شرح كتاب التوحيد ,المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) ,المحقق: المرتضى الزين أحمد ,الناشر: مجموعة التحف النفائس الدولية, الطبعة: الثالثة د.ت .

ـ الإيضاح في علوم البلاغة ,المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي ,الناشر: دار الجيل – بيروت .الطبعة: الثالثة.

.

.